الفصل السادس

ماريا منتسوري

الفصل السادس

منتسوري

* هذه الفتاة الجميلة الجريئة .
* هذا الفتى الذئب .
* هذه الطبيبة جذبتها التربية .
* هذه البيوت للأطفال .
* هذه الركائز الأساسية .
* هذا الطفل نريده .
* هذه الطريقة المنتسورية .

مدام منتسورى

إيطاليا

أرض وعرة ولكن فيها سهولا عديدة جدا ، تقتحم مياه البحر المتوسط فى ثبات وصمود ، فيما يشبه الساق الضخمة تحوطها بعض الجزر . وفى شمالها جبال شاهقة ، تكاد تحميها من رياح باردة تهب عليها شتاء ، والشمس تحنو أياما غير قليلة من العام، فيدلف الدفء إلى الأوصال مثيرا رغبات ، ومثيرا أحيانا سرعة انفعالات .

روما

مدينة التلال السبع . كانت عاصمة واحدة من أعتى الامبراطوريات التى عرفها التاريخ ، وكانت مصر مزرعة لها ، تمدها بالقمح ، هندسة معمارية فائقة ، وكل الطرق توصل إلى روما .

ولم تكن إيطاليا التى عاشت فيها منتسورى ذات امبراطورية ، ولكنها كانت تحاول أن تجد لها مكانا يستعيد مجد الماضى .

ودخلت هذه الفتاة الإيطالية جامعة روما ، وكان حدثا محل أحاديث تناولها زملاؤها الطلاب بكثير من التعليقات والإشارات والهمسات . ودار كل هذا فى عالم من الرجال الذين تعجبهم هذه الجرأة المتحدية من فتاة اقتحمت عليهم دنياهم . وضعت فى طريقها العراقيل الكثيرة ، فإذا بإرادة داخلية قوية لم تثنها عن عزمها فتخطت العراقيل ، وكأنها فترة حساسة انبثقت فى مراحل نموها ... فنجحت .

هذه الفتاة الجميلة الجريئة

ولدت ماريا منتسوري عام ١٨٧٠ م ، وكان أبوها من رجال السيف ثم ترك الجيش ليعمل موظفا مسئولا عن الشئون المالية لإحدى شركات الدخان . وكانت أمها سيدة مثقفة ومتدينة ، أخذت ماريا عنها حب التثقف والإرادة الصلبة ، والتى أدت بها إلى أن تعارض أباها فى تخير مستقبلها ، إذ كان يريدها أن تكون معلمة فرفضت ، وكانت وظيفة التدريس بالنسبة للإناث هى الوظيفة الأكثر قبولا فى المجتمع .

ولكن هذه الفتاة التى اصطبغت بشرتها بحرارة الشمس ، كانت تتطلع إلى أمور أخرى بعد أن أعجبت بالرياضيات وحل المسائل المستعصية . ونفذت رغبتها عندما التحقت بجامعة روما ، لتكون مهندسة فبدأت دراسة الرياضيات والفيزياء والعلوم الطبيعية ، واجتذبها علم الأحياء (البيولوجى) واستحوذ على تفكيرها ، فتركت فكرة الهندسة إلى دراسة الطب . ولم يوافق أبوها لا على الهندسة ولا على الطب ... ومع ذلك فكان يصحبها يوميا فى ذهابها إلى الجامعة، ويعود ليأخذها إلى البيت ، إذ لم يكن أمرا مقبولا أو مأمونا أن تسير فتاة جميلة بمفردها ، وكانت ماريا رائعة الجمال.

وكان الجو فى مدرسة الطب بجامعة روما ملبدا بسحب التعقيدات والعقبات التى توضع أمام هذه الجريئة الجسورة ، التى دخلت قلعة الرجال الذين خافوا من هذا الاتجاه ، فتركوها ، فانعزلت ، فصممت أكثر لا على مجرد النجاح ، بل التفوق كذلك . وكان لها ما أرادت بعد أن هدأ غضب الطلبة إثر تخصصها فى السنتين الأخيرتين فى طب الأطفال . وهنا سكت الرجال . وجلست إلى الامتحان النهائى وفاقت زملاءها وكانت من بين أوائل الدفعة التى تخرجت عام ١٨٩٦ .

وعملت ماريا كمتطوعة فى العيادة النفسية بمدرسة الطب ، وكان عليها أن تزور المصحات العقلية ، لتخير بعض الحالات من المرضى ليعالجوا فى تلك العيادة . وكان

اهتمامها الأول منصبا على المرضى من الأطفال . ودفع الاتجاه العلمى ماريا منتسورى إلى دراسة مجهودات السابقين الذين اهتموا بالأطفال فقرأت عن بستالوتزى وفروبل ، وقرأت لهما ما كتباه من مؤلفات . وتتحول حياة منتسورى إلى التركيز على الأطفال والطفولة ، وتأثر فكرها بعالمين فرنسيين ، هما : جان ايتارد Jean Itard ، وادوارد سيجوان Edouard Seguin وكان لهما أثر واضح فى آراء ونظريات منتسورى.

هذا الفتى الذئب

كان منطلقا جريئا عندما فاجأ جان ايتارد [1] الأوساط العلمية باهتمامه بفتى وجد فى غابة أفيرون بفرنسا ، كان يعيش وسط الذئاب ، وكان واحدا منها . دفع التحدى الطبيب ايتارد إلى رغبة قوية فى أن يعلم هذا الفتى الذئب بعد أن انتزعه من (قبيلته) وأسماه فيكتور . كان فيكتور ضعيف البصر جدا ، ولا يكاد يسمع إلا بصعوبة ، ومع ذلك فقد تحدى ايتارد زملاءه من العلماء ، فأعلن أن فيكتور قابل للتعلم .

أسس ايتارد نظريته فى تعليم فيكتور على :

١- ملاحظة السلوك .

٢- اعتبار الحواس هى المنافذ التى تؤدى إلى نمو العقل .

ولم يدر هذا الفتى الذئب أن اسمه سيخلد فى تاريخ التربية وعلم النفس ونظريات التربية . ولم يعلم ان اسمه ستذكره ماريا منتسورى كثيرا ، وسيؤثر على تفكير جان بياجيه السويسرى الذى اهتم أساسا بملاحظة سلوك الأطفال كما فعل ايتارد. كما أن منتسورى اهتمت بصورة واضحة بتربية الحواس عند الصغار .

(1) Robert F. Biehler, Psychology Applied to Teaching, 2nd Ed., Houghton Mifflin Co., Boston, U.S.A. 1974, p. 131.

أما العالم الفرنسى الثانى وهو إدوارد سيجوان .. فكان أيضا طبيبا ، تتلمذ على ايتارد وشاركه فى أبحاثه وتجاربه على الطفل الذئب . وفى رأيه أن الضعف العقلى مسألة تربوية أكثر منها طبية ، وقد ابتكر مجموعة من التدريبات المتدرجة لتساعد فى التنمية الحركية عند الأطفال المتخلفين عقليا . وتأثرت ماريا منتسورى بفكرته عن أهمية التدريب المتدرج فى تعليم الأطفال .

ومن الجدير بالذكر أن أفكار كل من ايتارد وسيجوان كانت متأثرة بآراء جان جاك روسو ، وهو أيضا فرنسى ، والذى اعتقد بضرورة الاهتمام بكل حواس الطفل كأدوات تستخدم فى تعلمه . كما رأى ان مفتاح التعلم يكمن داخل كل طفل ، وأن تكون بداية التعلم بالمحسوسات ، أى يتعلم الطفل مستخدما حواسه فيرى ويلمس مثلا ، قبل أن يعرف الرموز مثل الأرقام ..

وهكذا كانت طريقة تعليم فيكتور الفتى الذئب .

هذه الطبيبة جذبتها التربية

قرأت ماريا منتسورى الكتاب الذى كتبه ايتارد عن فيكتور واسمه «فتى أفيرون المتوحش» ، وأعجبها ، ثم مدت يديها تلتقط كتبا فى التربية وعلم النفس لتقرأها بعناية ، واستمعت بإنصات وتفكير إلى محاضرات فى هذين الميدانين . ثم تتلمذت على يد أستاذ فى علم الأجناس (الأنتروبولوجى) ، وتعلمت منه كما تقول أصول البحث العلمى . وتقول أيضا إنه أقنعها بأهمية البيئة المدرسية فى تكوين شخصية الفرد ، وامتد نشاطها الأكاديمى فشمل دراسة الفلسفة . وهكذا تنقلت ماريا منتسورى بين ديار المعرفة ، حاملة من كل دار كثيرا من الأفكار ، اعتملت فى عقلها وانطلقت ..

وفى عام ١٩٠٠ م تولت ماريا إدارة مدرسة تجريبية خاصة بالأطفال المتخلفين عقليا ، وكان عددهم ٢٢ طفلا . وقد أتيحت لها أول فرصة - فى تلك المدرسة - لاستخدام أدوات تدريب الحواس التى ابتكرها ايتارد وسيجوان ، بل إنها عدلت فيها لتستخدمها كما يترا ءى لها ، وصممت ونفذت مجموعة من الأدوات التعليمية ، مبنية على أفكارهما .

يتحدث يان Yahn بن نينهويس Nienhuis فيقول ... كانت الدكتورة تذهب إلى والدى الذى يصنع لها الأدوات التعليمية التى تطلبها ، وتحدد مواصفاتها بكل دقة ... كانت عصبية تكثر من الأوامر ومتشددة وملحة فى طلباتها ، مما أرهق صحة والدي، ولكنه كان فخورا ومقتنعا بعملها ، وبما تحاول أن تصل إليه ، وكانت سعادتها بالغة جدا عندما يتمم أبى أداة تعليمية صنعها بيديه وطابقت مواصفاتها .

ومات الأب بعد أن أسس شركة لصنع أدوات منتسورى التعليمية وورثها ابنه يان واتسع نطاق أعمال الشركة التى توجد الآن فى هولندا .

كرست ماريا كل وقتها للاثنين والعشرين طفلا فى تلك المدرسة التجريبية ، وغيرت من الطريقة المتبعة ، وأعدت مجموعة من التمرينات والتدريبات ، بحيث يعطى كل طفل واحدا منها ويتدرب عليه تحت إشرافها حتى يتقن مهارة ما . وقد نبعت تلك التمرينات بعد ملاحظة منتسورى الدقيقة والمنظمة لسلوك الأطفال ، والتعرف على حاجاتهم الفردية .

وظهر النجاح واضحا ... إن هؤلاء الأطفال الذين استبعدهم المجتمع لأنهم غير قادرين على التعلم ، وبالتالى لايمكنهم إنتاج ما ينفعهم أو ينفع غيرهم ، أي أنهم عالة على المجتمع ... بدأوا يظهرون قدرة على العمل المنتج .

كانت قنبلة دوت فى العالم التربوى ، بل زلزالا جبارا هز كثيرا من الأفكار التقليدية ... كانت صيحات الطبيبة الإيطالية تدوى ، وفرحتها لاتوصف ، وكإنما

الدنيا تزغرد لها ، فإن ما حدث صعب التصديق ... هؤلاء الأطفال المتخلفون عقليا - وبصبر منتسوري وأدواتها التعليمية - استطاعوا أن ينجحوا في نفس الامتحان الذي عقد لهم وللأطفال الأسوياء ... كانوا سواء بسواء ، إن شريحة من المجتمع استبعدت فإذا بها تعود إلى المجتمع منتجة . لقد وضعت منتسوري علامات استفهام كبيرة أمام تعبير (الطفل العادي) أو (الطفل السوي) ، وكان سيجوان قد سبقها في وضع مثل تلك العلامات .

وهكذا .. دخلت الطبيبة عالم التربية من أوسع الأبواب وبدأ اسمها يتردد ، فإن ماحققته من نجاح أشعل حماس الآخرين ، كما أثار تشكك البعض من القلة . وتساءلت الوافدة إلى الحقل التربوي ... لماذا لاتتبع هذه الطريقة مع الأطفال العاديين ؟ ... كان هذا التساؤل نابعا من يقينها بإمكانية تطبيق طريقتها على غير المتخلفين عقليا ، وإنها يمكن أن تحقق نتائج هائلة ، كان تساؤلها بداية التنفيذ ، وتركت عملها مع المتخلفين إلى دنيا الأسوياء .

قالت منتسوري ... «بعد أن تركت مدرسة المتخلفين صرت مقتنعة بأن تطبيق طريقتي على الأطفال الأسوياء سوف تنمي وتحرر شخصياتهم بصورة رائعة ومذهلة ... إن ايمانا جبارا كان يدفعني ، وعلى الرغم من أنني لم أكن واثقة من إمكانية اختبار أفكاري ... إلا أنني تركت كل مشاغلي ، وكرست كل وقتي لتعميق وتوسيع هذه الأفكار ... وكأنما كنت أعد نفسي لمهمة غير معلومة»[1] .

وعادت ماريا إلى الدراسة وجلست طالبة أمام أساتذتها في التربية وعلم النفس، وفي ذات الوقت بدأت تكتب ... وانتشرت كتبها ، وهي تمضي في طريقها إلى ذلك العالم المجهول الذي بدأ الخيط الأبيض فيه يتميز في وضوح عن الخيط الأسود .

إنه ميلاد مفكرة في التربية ، يوضع اسمها الآن بجوار من قرأت لهم وعنهم .

---

(2) Maria Montessori, The Montessori Method, Schocken Books, New York, 1964, p. 33 .

هذه البيوت للأطفال

التاريخ : ١٩٠٧ المكان زقاق فى حى سان لورنزو الفقير - بمدينة روما .

أعطيت ماريا منتسورى مكانا جمعت فيه أطفالا أسوياء ، تطبق عليهم أفكارها بناء على رغبة وجهت إليها من أمهات عاملات ، كن يتركن أطفالهن فى الأزقة المجاورة حيث يتعرضون لما لايجب أن يتعرض له الطفل ، مما يسىء إلى تكوينه الأخلاقى والجسمى والانفعالى .

سمت منتسورى هذا المكان (بيت الأطفال) Casa dei Bambini وأنقذ الصغار من شارع الفساد ، بل إنه حولهم إلى تلاميذ أثبتوا جدارتهم فى المدارس التى دخلوها فيما بعد .

وبيت الأطفال يعتبر بيئة أعدت خصيصا لهم ولحسن تنشئتهم وتربيتهم ، وهو محاولة للاقتراب من البيت الذى تعيش فيه أسرة متوسطة المستوى اقتصاديا . ويتكون من حجرات ، ويفضل أن تكون له حديقة يلجأ إليها الصغار يلعبون ويحركون أجسامهم بحرية ، وربما يرسمون أو يستريحون فى فترة نوم قصيرة تحت شجرة ظليلة تحميهم وهج الشمس ، أو تحت مظلة تقيهم ماء المطر .

وفى داخل البيت توجد حجرة كبيرة ، هى مركز للأنشطة العقلية التى أعدتها منتسورى بعناية . وتحيط بهذه الحجرة حجرات صغيرة ودورات مياه ، ولكل حجرة فائدة أو وظيفة كالراحة والرسم والتمرينات الرياضية والأعمال اليدوية الخفيفة . والأمر الملفت للنظر بحق هذا الاتجاه الذى نرى أنه (فى ذلك الوقت) ثورى فى العملية التربوية التى تقدم للأطفال قبل المدرسة ، ذلك هو الأثاث المستخدم ، والذى يتناسب مع أحجام الأطفال ، خفيف الوزن ، مطلى بدهان فاتح اللون ، يقبل أن يغسل بالماء والصابون . تأتى المناضد فى أشكال مختلفة ، منها المستدير ومنها المثلث والمستطيل والمربع ،

وكلها يسهل تحريكها كما يسهل تحريك الكراسى . وعلى جدران الحجرة - فى ارتفاع منخفض - توجد سبورات تتناسب مع قامة الأطفال الذين يجدون فى دورات المياه أيضا الأحواض والصنابير فى متناول أيديهم ، وقد صنع كل الأثاث والأدوات فى البيت خصيصا لتتناسب مع أحجام الأطفال .

فى مقارنة بين هذا الأثاث وبين ما هو معهود .. كتب أن الأطفال يعيشون فى بيوتنا كالأقزام أو كالأفراد العاديين فى أرض العمالقة . الطفل الصغير يجلس على الكرسى مثل الذى يجلس عليه والده ، ومنضدة الطعام واحدة ، والشوكة والسكينة والملعقة هى هى ... فى حين أن يد الطفل الصغيرة الناعمة أصغر بكثير من يد والده، ويصعد الطفل سلم البيت كما يصعد الكبير ... وفرق واضح بين أطوال السيقان [١] .

شيدت عبقرية ماريا منتسورى للطفل عالمه المحدد ، وهى تخطو إلى العالم المجهول على حد تعبيرها . ونركز قليلا على ما أسمته حجرة العمل Working Room ... بالحجرة قطعتان ضروريتان من الأثاث : الأولى خزانة (دولاب) منخفض الارتفاع ، بحيث يمكن للطفل أن يضع على سطحه بعض الأشياء الصغيرة كالزهور أو المفارش ... إلخ ، وللخزانة أبواب يسهل فتحها وغلقها ، وبداخلها مجموعة من الأرفف . تستخدم هذه الخزانة لحفظ المواد التعليمية وهى خاصة بكل الأطفال .

القطعة الثانية من الأثاث تحوى مجموعة أدراج صغيرة الحجم ، لكل منها مقبض بلون جميل مخالف للون الدرج ، وعلى كل درج بطاقة عليها اسم أحد الأطفال، ولكل طفل درج يضع به أشياء تخصه .

على الحوائط - وعلى ارتفاع منخفض - توجد السبورات التى يمكن للأطفال الرسم عليها ، كما توجد لوحات لمناظر طبيعية أو فاكهة ، أو صور أطفال أو بعض الزهور...إلخ . ومن الضرورى وجود زهور طبيعية أو نباتات فى الحجرة .

---

(١) سعد مرسى أحمد ، سيكلوجية الطفل . دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٠ المقدمة .

فى مكان آخر بحجرة العمل .. توجد قطع من السجاد بألوان مختلفة منها الأحمر والأزرق والأخضر والبنى . يفرش الأطفال هذه القطع على الأرض ليجلسوا عليها عند استعمالهم المواد التعليمية المختلفة ، ومن المفضل أن تكون حجرة العمل هذه متسعة نوعا ، حتى تتاح الفرصة لترتيب المناضد والكراسى ، ولإتاحة مكان فسيح لفرش السجاد واستخدام المواد التعليمية .

وننتقل إلى حجرة أخرى فى بيت الأطفال يطلق عليها (النادى) Club-room أو حجرة الجلوس Sitting-room ، وفيها من التجهيزات والإمكانات الكثيرة ما يتفق مع الحالة الاقتصادية (للمدرسة) ، عادة يوجد بها بعض الكراسى المريحة والمناضد التى يمكن للأطفال الجلوس إليها والمشاركة فى بعض الألعاب الجماعية ، أو الالتفاف حول المرشدة ، وهى تقص عليهم قصة ... تجمل هذه الحجرة ببعض الصور والرسوم والأزهار ... ويعطى كل طفل مسئولية العناية بأصيص زرع عليه أن يرعاه ويباشره لينمو ويزدهر ... بالنادى أيضا بعض الأدوات الموسيقية البسيطة المناسبة لسن الأطفال .

أما حجرة الطعام .. فتحوى - إلى جانب المناضد والكراسى - بعض الخزانات لحفظ أدوات المائدة المختلفة ، والمفارش والفوط ... إلخ .

وفى حجرة الملابس .. توجد خزانات صغيرة يضع فيها الأطفال ملابسهم (فيخصص لكل طفل خزانة أو رف) وهناك بعض المشاجب لتعليق الملابس الخارجية كالمعطف أو غطاء الرأس ... إلخ . وملحق بهذه الحجرة مجموعة أحواض وأدوات ومواد الحمام من صابون وفراجين .

وتتوفر فى البيت أدوات ومواد التنظيف المختلفة ، لأن الأطفال يقومون بكنس الأرضيات ، وتلميع الأثاث . وتنظيف السجاد ، وترتيب الخزانات ، وغسل بعض الفوط والمفارش الصغيرة [١] .

---

(١) هذا ما كان موجودا فى الماضى فى بيوت الأطفال ، وهو موجود أحيانا فى دول أو مجتمعات أو أحياء تستطيع تدبير كل هذا

سابقا كان هناك ما يسمى لعبة بيت العرائس ، وهو مكان محدود جدا صغير الحجم جدا ،يحوى كل ما بالبيت العادى ولكن فى أحجام صغيرة ، أعطت منتسورى الطفل الفرصة ليعيش فى بيئة معدة خصيصا له ، ما يعمله أو، ما يجب أن يعمله فى بيته ، لا أن يتعامل مع مصغرات للأدوات والأثاث، كما كان شائعا فى بيت العرائس.

. . . . . .

. . . . . .

وجاءت الوفود إلى سان لورينزو لترى النشاط الهادىء فى صمت الأطفال فى حركة دائبة ، والهدوء يسود المكان . كل طفل يعمل ، ولا جلبة ولا ضوضاء . أية معجزة هذه التى تحققها من كانت طبيبة ، فأصبحت أول من تزامل فلاسفة وعباقرة التربية فى العالم ، قديمه ووسيطه وحديثه ..

هذه الركائز الأساسية

حيث لاتكون كرامة لنبى فى وطنه .

هكذا شاء قدر ماريا منتسورى .. فقد تزايدت الوفود إلى بيوت الأطفال ، وعادت مثقلة بالأمانى والأفكار .

تساءل بنيتو موسولينى فى حماسة انفعالية كانت جديرة بالدوتشى (أى الزعيم القائد) عن هذه التى تعمل بتربية الأطفال . وكان زعيما له أطماع سياسية ، ويحلم بإمبراطورية تمتد كما امتدت الإمبراطورية الرومانية قديما . انبهر للإنجاز التربوى فى تنشئة الأطفال على يد تلك السيدة التى استهوتها التربية ، فأخذتها بعيدة عن المهنة الطبية ... لم تقبل منتسورى تعديلات أو تجريحات فى طريقتها لتنشىء أطفالا ينمون ويؤكدون فاشية موسولينى ، حدث هذا بعد أن طوفت ماريا بأنحاء متفرقة من العالم ، مبشرة بطريقتها فى إيمان الواثقين وجدية العارفين ... فما طريقتها ؟ .

العصارة المركزة لما كتبته منتسوري ونادت به تلخص في عبارة قصيرة لها، معان طويلة واسعة وعميقة (حرية الطفل في بيئة معدة له) معنى ذلك في تحليل قصير :

- الاعتراف بأن الأطفال ليسوا متساوين في رغباتهم وقدراتهم
- أن المشرفين عليهم يتدخلون بقدر محدود في أعمالهم .
- أن واجب المشرفين تهيئة الظروف المناسبة للأطفال في نموهم .
- أن هذا النمو يتطلب متطلبات معينة تبعا للتطور البيلوجي للطفل .
- انهماك الطفل في عمل يرضيه ويسعده من شأنه ألا يتدخل في أعمال غيره من الأطفال .
- استغراق الطفل في عمل يهمه وينجح فيه ، أمر له دلالة محببة عنده .
- من يشرفون أو يشرفن على الطفل يجب أن تتوفر فيهم صفات معينة ، تتطلب بالضرورة إعدادا تربويا ونفسيا معينين .
- ضرورة وجود أدوات أو أجهزة تعليمية ذات مواصفات خاصة ، تعتبر من مستلزمات البيئة المعدة .
- البيئة المعدة تعني ما يجب توافره من إمكانات بشرية ومادية متنوعة ، حتى يمكن أن تتاح للطفل مواقف غزيرة وثرية يمر فيها ... أي خبرات .

كل هذا .. يمكن أن يضع القارىء أمام ثلاثة اتجاهات رئيسية هي اللبنات الأساسية في تفكير منتسوري التربوي : طبيعة الطفل - مكان التعلم - من يشرف على الطفل . وقد لاحظت منتسوري الأطفال ودرستهم عن كثب ، وعرفت عنهم غير القليل، أما عن مكان التعلم .. فقد أعدت لهم ما يلزمهم إعدادا صالحا جدا لتكوينهم المتكامل كأفراد . والنقطة الثالثة الخاصة بمن يشرف على هؤلاء الأطفال ، فقد كانت قاسية وحريصة كل الحرص على النوعية من المرشدات الصالحات للتعامل مع الأطفال .

وكان لها ما يمكن أن نطلق عليه معهد إعداد المرشدات ، الذى يمنح دبلوما فى طريقتها - وكانت تطلب من الملتحقات التدريب والممارسة الفعلية فى بيوت الأطفال مدة سنتين.

بهذه الركائز الثلاث ، وهى : طبيعة الطفل ، البيئة المعدة ، إعداد المرشدات ، تكتمل حلقة الفكر المنتسورى عن العمل فى بيوت الأطفال .

مزيد من الضوء على الركائز الثلاث السابقة .

أولا : طبيعة الطفل

(أ) هو كائن بشرى يولد مكتشفا ، منذ أن تقع عيناه على الأحياء والأشياء ، يريد أن يستكشف ليعرف . هو عالم عجيب وغريب يتفتح تدريجيا أمامه . كل شىء فيه مثير . الأصوات ، الحركات ، الساعة التى تدق ، الحذاء ، الملعقة ، أخوه الأكبر منه ، العقد الذى يتدلى من رقبة والدته ... الشارب الذى يكسو وجه أبيه... بل أصابع قدمه هو . الباب يقفل ويفتح ، الحجرة مظلمة ثم مضاءة . فى يد الأم مروحة تهزها فنسيم يداعب وجهه ... ويشعر بالبرد فإذا بشىء يغطيه فيشعر بالدفء ... أسرار لا نهاية لها ، وكلها تثير . وعيناه الواسعتان تحاولان فهم هذا الذى يوجد ويدور حوله ، لقد خلقه الله محبا لاكتشاف أسرار هذا العالم الذى وجد نفسه فيه . وتدريجيا .. عندما يبدأ اكتساب اللغة يتحرق شوقا لمعرفة أسماء الأشخاص والأشياء بعد أن عرف اسمه ، وكان ذلك اكتشافا عظيما ، فله كيانه وله جسمه وله اسمه .

وهو يود أن يعرف العلاقة بينه وبين غيره ، وبين الأشياء بعضها والبعض الآخر ... وقد أعدت ماريا منتسورى أدوات تعليمية تشبع هذه الرغبة الاستكشافية عند الطفل ، ولم يكن هذا النهج معروفا فى أساليب التعامل مع الأطفال فيما قبل ، ويرى بعض المفكرين أن منتسورى كشفت عن رغبة الطفل فى الكشف

والاستكشاف ، فأصبح الطفل هو الذى يكتشف وكانت (المدرسة) هى التى تكتشف له . كما أن منتسورى حررت الأطفال من قيود الجلسة المعينة على مقاعد ثابتة ، فتحركت أجسامهم وتحررت عقولهم فانطلقوا يستكشفون بأنفسهم، تقول منتسورى ... «كلما أخذنا على عاتقنا نحن الكبار عمل شىء نيابة عن الأطفال ، وكان المفروض أن يفعلوه هم ، فإننا بهذا لانساعدهم ... بل نعرقل نموهم» [1] .

(ب) تعال معنا ندخل أحد بيوت الأطفال ، ولتكن خطواتنا هادئة ، وأفواهنا مقفولة ، وعيوننا شاخصة ، وآذاننا مرهفة ... كل شىء هادىء ... كل طفل مستغرق تماما فى عمله . الجسم والتفكير منهمكان كأنما لكل طفل عالمه الخاص الذى أخذه بعيدا عن العالم الكبير . إنه يخرج مجموعة أشكال اسطوانية ويرتبها ، ثم يعيدها إلى الصندوق ، ويكرر هذا العمل مرات قد تصل إلى أكثر من عشرين مرة، وهو فى حالة اندماج كامل . والملاحظ هنا :

- لم يكلف أحد الطفل بهذا العمل .
- إنه سلوك تلقائى فيه سعادة له .
- لايهم الطفل ماذا يفعل طفل آخر .
- المعلمة تلاحظ من بعيد ما يدور فى تلك الحجرة التى تضم عددا ، قد يصل إلى ثلاثين طفلا .

السر يكمن فى عدة عوامل ، أهمها الطاقة العقلية التلقائية للطفل . وتعتمد منتسورى على هذه العقلية التلقائية فى طريقتها فى تربية الأطفال ، مؤمنة بأن

(1) E.M. Standing. The Montessori Method, A Revolution in Education, The Academy Library Guild, California. U.S.A., 1962, p. 11.

استخدام هذه الطاقة التلقائية يؤدى إلى تكوين حصيلة معرفية منظمة عند الطفل.

وتنمو هذه التلقائية نموا طبيعيا ، مارة بمراحل حددتها منتسورى ، وهى مراحل ذات حساسية معينة ، ولذلك أطلقت عليها الفترات الحساسة The Senstive Periods ، وتلفت منتسورى نظر العالم إلى إن الطفل يندفع تلقائيا فى فترات معينة ومحددة إلى عمل ما ، يستشعر داخليا رغبة عارمة فى القيام به ، بمعنى أن عند مرور الطفل بفترة حساسة ما تتولد لديه رغبة داخلية ملحة للقيام بنشاط عقلى أو جسمى من تلقاء نفسه ، يفرحه أن يقوم به دون أى دافع خارجى . بل إن استغراق الطفل فى العمل لمدة زمنية غير قليلة خلال تلك الفترات شكك فيما كان يقال عن منحنيات التعب فى التعلم : وإن الطفل يشعر بالإرهاق والملل بعد فترة ويحب أن يستريح . لكن طفل منتسورى كغيره من الأطفال يكرر العمل عشرين وثلاثين مرة دون تعب أو ملل ، ذلك لأن هذا العمل يتناسب مع الفترة الحساسة التى يعيشها الطفل : والتى يمكن أن ينتج خلالها أفضل وأروع إنتاج ، وأن يتعلم كل ما يتعلق بهذا العمل ، بأسرع وقت ممكن وبأفضل نتائج متوقعة .

ولا يمكن استثارة فترة حساسة معينة بمثير خارجى ، وإنما هى تنبثق من داخله. هى كالوهج شديد الإضاءة ، تدفع الطفل إلى عمل تتطلبه هذه الفترة ... وتزول. ومن الغريب إن علماء النفس المهتمين بالنمو المعرفى ذكروا حديثا إنه فى السنوات الستة الأولى يجب أن يتعلم الطفل كيف يتعلم ، وأنه يصعب تعلمه ذلك بعد سن السادسة .

ولكل فترة من تلك الفترات الحساسة مطالب متميزة عن غيرها من الفترات ، وتظهر فى أنواع النشاط التى يريد الطفل ممارستها ، مع ملاحظة تداخل هذه الفترات ، وأنها تتفاوت من طفل إلى آخر .

وفيما يلى تحديد لهذه الفترات كما ارتأتها منتسورى ، والأعمال أو السمات التى يتميز بها الطفل فى كل منها .

- **من الميلاد إلى ثلاث سنوات**

* عقلية استيعابية
* خبرات تأتى عن طريق الحواس .

- **من سنة ونصف إلى ثلاث سنوات**

* نمو اللغة .

- **من سنة ونصف إلى أربع سنوات .**

* النمو العضلى والتناسق بين العضلات .
* الاهتمام بالأشياء الصغيرة .

- **من سنتين إلى أربع سنوات**

* تحسين الحركات الجسمية .
* الاهتمام بمعنى الحقيقة والصدق .
* إدراك النظام والتتابع فى الوقت والأمكنة .

- **من سنتين ونصف إلى ست سنوات**

* تحسن فى الإدراك الحسى .

- **من ثلاث سنوات إلى ست سنوات**

* التأثر بنفوذ الكبار .

- **من ثلاث سنوات ونصف إلى أربع سنوات ونصف**

* التهيؤ للكتابة .

- من أربع سنوات إلى أربع سنوات ونصف .

* الإحساس اللمسى .

- من أربع سنوات ونصف إلى خمس سنوات ونصف .

* التهيؤ للقراءة .

ولنأخذ مثالا عن إحدى هذه الفترات الحساسة والتى تنمو فيها اللغة ، حيث إن هذه الفترة تفصح عن نفسها بوضوح كامل، يتمثل فى القدرة الفائقة للأطفال فى هذه الفترة من عمرهم على الاستماع إلى أصوات الكلمات وتقليدها . وفى هذه الفترة.. تكون قدرة الطفل على تعلم اللغة كبيرة جدا للدرجة التى تمكنه من تعلم أكثر من لغة فى وقت واحد بدون مجهود كبير ، ولن يستطيع مرة أخرى - فى مرحلة نمو تالية - أن يلتقط وينطق الكلمات بهذه الإجادة وتلك السهولة . وكأن بكل طفل وعاء ضخما ، يجب أن يملأ بالكلمات والتعبيرات سواء كانت لغته الأصلية أو لغة أجنبية ، بل إنه أحيانا يخترع كلمات لامعنى لها ، إذ أن الوعاء محتاج إلى أن تصب فيه كلمات جديدة . ويرى ستاندنج Standing أنه يمكن للطفل تعلم لغة أجنبية إلى جانب لغته الأصلية ، دون مشقة تذكر ، بل دون أن يلاحظ هو ذلك [1] .

(جـ) تكلمنا عن رأى منتسورى فى طبيعة الطفل ، وعرضنا لموضوعى الاستكشاف والتلقائية ، والموضوع الثالث فى طبيعة الطفل هو فى اختلاف نظرة الطفل عن الكبير فى العمل ، حيث يهتم الكبير أساسا بنتائج العمل ، أما الطفل فإن دافعا قويا ينبثق من لاشعوره ، ومتضمن فى أعماق شخصيته يدفعه إلى النشاط والعمل ، ولا يستهدف بالضرورة تحقيق نتائج معينة . فالأمر إذن أن الطفل يعمل إرضاء لرغبة ملحة متأججة صادرة من أعماقه تدفعه إلى العمل .

(1) E.M. Standing, Op. Cit., p. 39

انها حاجة بيولوجية هى التى تدفع الطفل إلى هذا النشاط والعمل ، ولابد أن يعمل حتى يكفى تلك الحاجة ما تريد ، وهنا يشعر بالراحة والسعادة . كالظمآن أو الجائع .. لابد من إرضاء حاجة حيوية ، وإلا يظل الفرد فى حالة توتر . إن أكثر ما يؤلم الطفل ألا تشبع حاجاته البيولوجية ودوافعه ، فإن استمرار حالات من التوتر سوف تسبب له كثيراً من المتاعب فيما بعد ، يكون الطفل هنا نفسه ليكون الرجل فى المستقبل سواء من ناحية التكوين العضلى أو النفسى أو العقلى ... إلخ . إن الطفل يكرر عملا ما عشرات المرات لا انتظارا للنتيجة ، ولكن إشباعا لرغبته فى العمل . وتطلق منتسورى على هذا تعبير النشاط الذاتى الابتكارى للطفل ، كما يعبر عنه فروبل أيضا «بالنشاط الذاتى» .

ثانيا : البيئة المعدة أو المهيأة

ترى منتسورى أن الطفل يستوعب كثيراً من البيئة المحيطة به لا شعوريا ، ولهذا فإن الأمر يتطلب بالضرورة إعداد بيئة صالحة يعيش فيها الطفل داخل بيت الأطفال ، وتتضمن هذه البيئة عددا وافرا من الأدوات التعليمية التى يتعامل الأطفال معها منفسين عن حاجاتهم ودوافعهم الداخلية ، وقد سبقت الإشارة إلى مناسبة أحجام الأثاث لأحجام الأطفال ، بل وتتميز قطع الأثاث بالجمال والخفة فى الوزن وسهولة الحركة. كما أنها ذات ألوان جميلة فاتحة حتى إذا ما اتسخ جزء منها بوضع الطفل يده مثلا عليها ، إذا لم تكن نظيفة ، فإنه يشعر بالخطأ وسرعان ما يزيله .

أحست منتسورى بأن الدافعية الذاتية هى مفتاح التعلم المثمر . ويأتى الطفل أولا محتلا مكان الصدارة فى العملية التربوية ، ثم يأتى المنهج وغيره فيما بعد . ويركز المنهج المنتسورى على سيطرة الطفل على نفسه وعلى البيئة المحيطة به ، وقد صممت الأدوات التعليمية لتحقيق هذه السيطرة ، ولتتيح لكل طفل النمو حسب قدراته وإمكاناته ... إذن فالبيئة المعدة أو المهيأة يقصد بها مكان ، يتعرض فيه الطفل لما يؤدى إلى نموه العقلى والجسمى والنفسى بصورة مطلوبة ومقبولة .

وتؤكد منتسوري على موقف المعلمات في هذه البيئة المعدة ، فلا يجب أن يكن عقبات أمام النمو المتكامل للطفل فلا يتدخلن إلا عند الضرورة . وتترك للطفل الحرية في التعامل مع الأدوات التعليمية ، فيتخير منها ما يشاء في أي وقت ولأية مدة .

ولا يتصور القارىء أن العمل في بيت الأطفال فردي فقط ، فهناك أعمال يشترك فيها مجموعة من الأطفال في تعاون بعيد عن التنافس . وهناك احترام للبيئة وللأفراد الموجودين فيها .

ويحقق الطفل ذاته من خلال تعامله مع الأفراد والأدوات في هذه البيئة المتسمة بالحرية غير المطلقة .

ثالثا : المعلمة

التي تتعامل مع الأطفال لاتحب مدام منتسوري أن تسميها (مدرسة) أو (معلمة) ، وإنما تطلق عليها اسم مرشدة Directress ، ومعناها المسئولة التي ترشد وتوجه الأطفال ، ولكنها لاتدرس لهم ، ولا تبين لهم أنهم اخطأوا . ويعرف كل طفل أنه إذا نجح في عمل ما فهذا لايعني بالضرورة أن المرشدة ستفرح وإنما هو الذي سيسعد . وهذه المعلمة «المرشدة» لاتقف أمام الأطفال تدرس لهم ، وإنما هي بعيدة عنهم في المسافة ، ولكنها مع كل واحد قريبة ، ولا يجب على الأطفال أن يلتفوا حولها إلا في ظروف قليلة معينة.

وتعد المعلمة كما بينا سابقا إعدادا خاصا للعمل في بيوت الأطفال ، وقد ذهبت منتسوري إلى لشبونة وإلى بريطانيا وإلى هولندا وإلى الهند وإلى أمريكا ... وألقت محاضرات في خمسة وثلاثين برنامجا تدريبيا دوليا ، وأنشأت معاهد لتخريج معلمات بيوت الأطفال . والأمر المهم في برامج إعداد هؤلاء المعلمات أنهن يتعلمن أصول الدور الذي سيلعبنه في بيوت الأطفال ، فالمعلمة همزة وصل بين الطفل والبيئة المعدة . وفي

مسار إعدادها .. تؤمن بأهمية الأعمال التى ستناط بها ، وتعد داخليا للتعامل مع الصغار ، بادئة بالتخلص من العيوب أو نواحى النقص فى شخصيتها .... وتنصح منتسورى معلمات المستقبل أن «تبدأ كل واحدة أولا فتقتلع الجذع فى عينيها ، حتى تستطيع أن ترى بوضوح كيف تزيل القذى (القشة) من عين الطفل ...» [1] .

الأمر المهم أيضا تكوين الاتجاه السليم عند المعلمة ، أكثر من الاهتمام بالتدريب على مهارات آلية فى التعامل مع الأطفال ، أى التركيب على روح العمل وليس ميكانيكياته أو آلياته ، على النظرة الثاقبة العميقة لا على القشور السطحية الهزيلة. إن أعماق الطفل تحفزه إلى النشاط والعمل ، والأهم هو تلك الأعماق ، والأقل أهمية جدا هى نتائج الأعمال . عندما تفهم المعلمة أن الخطأ فى النتائج لايعنى كثيرا فهى لن تركز على تصحيحه إلا عند الضرورة ، وهى لن تفعل هذا إلا بعد أن تقتنع وتؤمن فى أعماقها بمعنى سلوك ونشاط الطفل ، وهذا ما تدرسه وتتدرب عليه لمدة سنتين .

تتطلب طريقة منتسورى أن تتدرب المعلمة على ملاحظة الأطفال واكتشاف حاجاتهم وميولهم ، وأن تميز بين نزوات الأطفال وطاقاتهم التلقائية .... وبناء على قدرتها على هذا التمييز .. تستطيع أن تلاحظ بوعى وأن توجه بحكمة . ولكن ... يجب على المعلمة ألا تقصر دورها على الملاحظة ، بل أن تتعدى ذلك إلى التجريب ، فكل لقاء مع الأطفال هو (تجربة) فى تربية الطفل ، يمكن للمعلمة أن تستخلص منها نتائج مهمة ، ترتبط بعملها فى تربية وتنشئة الأطفال فى مرحلة ما قبل المدرسة .

وتحاول المعلمة أن يتصف لقاؤها بالأطفال بخصائص ثلاثة : أن يكون اللقاء قصيرا ، وبسيطا ، موضوعيا ...

---

(1) Maria Montessori The Secret of Childhood, Notre Dame, Indiana, Fides Pub Inc, 1966, P. 182 .

هذا الطفل نريده

في ختام محاضرة ألقتها ماريا منتسوري في الهند قالت ... «ساعدنا يا الله ، حتى ندلف إلى أسرار الطفولة ، حتى يمكننا أن نعرف الأطفال ونحبهم ونخدمهم متمثلين بقوانين عدالتك السماوية ومتبعين مشيئتك المقدسة» [1] .

لماذا يجب علينا أن نعرف الطفل ونحبه ونخدمه ؟ المعرفة والحب يؤديان منطقيا إلى فهم سليم للطفل والطفولة ، وبالتالي إلى محاولة مساعدته أو خدمته ، أي إلى حسن تنشئته ليكون مواطنا يعرف ماله من حقوق وما عليه من واجبات . ولذلك ... فإن هناك مواصفات وسلوكيات ، ارتأت منتسوري ضرورة تكوينها عند الصغار في بيوت الأطفال ، هي :

أولا : الاستقلال والاعتماد على النفس

أن يكتسب الطفل الاستقلالية والاعتماد على النفس أمر جد مهم في تطور نموه. وهذا الاستقلال والاعتماد على النفس يتغير في طبيعته مع مراحل نمو الطفل ، ويشترك كل الأطفال في حاجاتهم وعزمهم على التمتع بالاستقلال والاعتماد على النفس ، فهم يتوقون إلى أن يعملوا لأنفسهم وبأنفسهم ما يعلمه الكبار لهم . إن الاستقلالية جزء أساسي في نمو الأطفال ، وهي الهدف النهائي لطريقة منتسوري التي تعتمد على خطوات متصلة ومتتابعة ، في تقدم مؤد إلى السيطرة الذاتية والاستقلال الوظيفي .

---

(1) Maria Montessori, The Absorbent Mind, Dell Pub. Co. New York, 1967, p. 286 .

ولا يمكن للفرد أن يكون حرا مالم يكن مستقلا ، ومن يحتاج أن تؤدى له الخدمات لايتمتع بالاستقلال ، إن كثرة اعتماد الأطفال على الكبار ينزلهم من على ظهر حصان الاستقلال الذى ينقلهم عبر مراحل النمو السليم ، بل مالنا نخنق أنشطتهم التلقائية المفيدة .

إن الطفل الذى لايعمل لن يعرف كيف يعمل ، يظن البعض أن وضع الطعام فى فم الطفل ، وإدخال قدمه فى الحذاء ، وإلباسه الملابس ... إلخ عمليات صعبة ومرهقة ، ولكنهم لايعلمون أن الأصعب هو تعليمه كيف يأكل . وكيف يلبس ، وكيف ينظف نفسه ... إلخ

وتتسع دائرة الاستقلال والاعتماد على النفس مع تطور نمو الطفل ، فكلما نما كانت حاجته أكثر إلى مزيد من الاستقلال والاعتماد على نفسه . ويبدأ أول استقلال يتمتع به الطفل عندما يخرج من رحم أمه ويصيح مواجها العالم ، ثم يفطم فلا يكون ثدى الأم هو مصدر غذائه فقط ، وبذلك ينال استقلالا ثانيا ، ثم يتعلم الكلام فيستقل ليعبر بنفسه عما يريد ، ثم يمشى فيتخطى بذلك مرحلة مهمة فى طريق الاستقلال ، ومازال هذا الطريق ممتدا ويقطع فيه الطفل أشواطا وأشواطا وهو يطوى السنوات طيا .

وعلى الكبار المحيطين بالطفل سواء فى البيت أو فى المدرسة احترام رغبة هذا الصغير ومحاولته الدائبة نحو الاستقلال . فلكى ينمو الطفل ويصبح شخصية متكاملة بمعنى الكلمة ، لابد أن يتعلم أن يفكر ، وأن يشعر ، وأن يختار ، وأن يقرر ، وباختصار أن يتصرف بنفسه ولنفسه .

ثانيا : الطاعة

لعل القارىء الكريم يذكر زيارتنا القصيرة الهادئة لأحد بيوت الأطفال ، ويذكر أننا كنا نرهف السمع ونعجب بهذا السكون ، بينما الأطفال فى أعمال مختلفة استغرقوا فيها ... ولعله يعجب أيضا بهذا الترتيب والتنظيم فى البيت الذى يربى فيه الطفل مع تواجد العشرات من الأطفال ، وإذا لاحت لك أيها الزائر فرصة .. فسوف تجد المرشدات مبتسمات ، والنفوس مستريحة عند الكبار والصغار ، لأن كل شىء هادىء فى بيت الأطفال .

الكلمة السحرية هنا هى «الطاعة» ، أى إن الأطفال يطيعون تعليمات وتوجيهات معينة ، وهم يحبون أن يطيعوها . وهم سعداء بهذه الطاعة ، وكانت ماريا منتسورى تطير فرحا بتلك الطاعة، فلا غرو.. فإن الطاعة مكون أساسى فى بيت أطفال منتسورى ، ومن المفيد أن نعلم سويا كيف تتكون هذه الفضيلة عند الأطفال ، وقد دعت الأديان السماوية إلى الطاعة ... طاعة الله عز وجل، وطاعة أولى الأمر ، وطاعة الوالدين ... وفى دول نامية وغير نامية أحيانا تلطم طاعة القوانين ويعبث بها ، فإما يكون رفضا أو تحايلا أو... فإذا توصلنا إلى معرفة كيف ينمو هذا السلوك التقدمى ، أى الطاعة عند الأطفال .. فإننا نتمكن من مساعدتهم البلوغ غاية نموهم الطبيعى .

والطاعة لاتتكون تلقائيا عند الأطفال ، بل هم يتعلمونها تدريجيا مع نمو قدراتهم على التفكير وفهم العلاقات ، فلا يطيع الطفل إلا إذا تمشت الأوامر مع إحدى رغباته الحيوية . وإذا لم يكن الطفل قادرا على طاعة إرادته هو .. فلن يطيع رغبات إرادة شخص آخر . وقد عهدنا أن يرتكز النظام فى المدارس على التهديد والوعيد ، وبهذا يصبح الطفل غير المطيع شريرا ، والطفل المطيع هو إنسان محمود الأخلاق ... فى نظرنا . معنى هذا أن إرادة الطفل يجب أن تنحى جانبا ، وإرادة الكبير هى التى يكون لها الكلمة العليا . وهذا خطأ كبير ... أن نعتقد أن إرادة فرد ما يجب أن تكسر قبل أن يطيع ... أى لكى يطيع .

الطاعة إذن تنمو مع صفات أخرى فى شخصية الطفل ، وهى مرتبطة بنمو الإرادة ، ولا نتوقع من الطفل الصغير أن تكون لديه فى هذا السن المبكر الإرادة على ضبط سلوكه بدوافع داخلية ، وإنما هى فى بداية مراحل تكوينها ، وتتهذب وتتشذب مع وجوده فى بيئة تنشيئية صالحة . **للطاعة مستويات :**

(أ) فى المستوى الأول يطيع الطفل أحيانا ... ولكن ليس دائما .

(ب) فى المستوى الثانى يمكن للطفل أن يطيع دائما .

(جـ) فى المستوى الثالث يمكن للطفل - عن جدارة - أن يستوعب ويقدر أوامر الكبار وينفذها ، وهذه أعلى مراحل الطاعة التى ترنو إليها التربية .

إن القوة على الطاعة هى أعلى مراحل نمو الإرادة ، كما تقول منتسورى [1] ... أى أننا لو ركزنا فى تربية الطفل على تنمية إرادته فتصبح الطاعة أمرا ممكنا ، إذ ترى منتسورى أن اللجوء إلى التأديب الصارم للأطفال أمر غير مستحب ، وخير منه تنمية قدراتهم على اتخاذ القرارات ، على الفهم ، وعلى إدراك العلاقات ... وهنا يصل الأطفال إلى المرحلة التى يستطيعون فيها تهذيب أنفسهم بأنفسهم .

ثالثا : الحرية والنظام

تتمثل الحرية فى بيوت أطفال منتسورى فى ترك الصغار يتخيرون الأدوات التعليمية التى يلعبون بها ما شاء لهم من وقت ثم يتركونها بإرادتهم ، كما تتمثل فى موقف المرشدة من أنشطة الطفل وعدم التدخل إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، كما تظهر أيضا فى تلك التنقلات من مكان إلا آخر . وفى تصميم الأثاث بحيث لايكون مثبتا فى مكان واحد ، بل يسهل تحريكه . وعلى أن هذه الحرية ، كما سنرى ، وكما

---

(1) Maria Montessori, the Absorbent Mind., Ibid., p. 260 .

رأينا فى صفحات سابقة ليست مطلقة .. فإن هناك نظاما يضع لها حدودا ، فى حدود المقبول تربويا ، والذى يتمشى مع الأصالة العلمية للنمو النفسى للأطفال .

إن طريقة منتسورى هى مزيج من فلسفة لنمو الطفل ، ومنطق لتوجيه هذا النمو. وتحترم فلسفة منتسورى كل طفل كإنسان له فرديته ، وهو يحمل فى أعماقه غير المرئية تكوينه الراشد فى المستقبل . ولكى تتم عملية النمو فيما يقترب من الكمال .. يجب أن يتمتع الطفل بحرية فى نطاق من النظام والحكم الذاتى .

ويجب أن يحس الطفل بالتلازم المستمر بين الحرية وتحمل المسئولية ، فالحرية حق أخذه ، وواجب عليه أن يتحمل مسئوليات . الحرية وتحمل المسئولية مطلبان يجب أن يشعر الطفل بهما ، وهو يتدرج فى نموه ، إن ما تقدمه منتسورى من تكنولوجيا ، أى أدوات وتخطيط وتنظيم وإعداد وإستراتيجيات التدريس ... إلخ ، تعمل متضامنة لتشييد طريقة فعالة للحياة، تتكامل فيها فردية الطفل مع العالم الخارجى.

إن ما تقدمه منتسورى للطفل هى مفاتيح ، تفتح الأبواب واسعة إلى بيئة يجد فيها الفرص سانحة لينمى إمكاناته الأساسية ، ويصبح قادرا على أن يتبوأ مكانه بجدارة فى مستقبل السنوات . آمنت الدكتورة ماريا منتسورى بأن التربية تبدأ بمولد الطفل (آراء أخرى تقول إنها تبدأ فى رحم الأم) ، وأن السنوات الأولى هى أهم السنوات فى تكوين الفرد . وآمنت بأن الطفل يستوعب التعلم من خلال الخبرات المتاحة له فى البيئة المحيطة به ، فالتربية لاتفرض على الطفل إذا هيئت له بيئة تعليمية ، حيث يكون حرا فى الفعل وفى النمو الذى يتمشى مع موجهاته الداخلية .

إن الحرية الممنوحة للأطفال فى (بيوت الأطفال) ليست حرية بدون قيود ، أى أنها ليست مطلقة كما أشرنا سابقا ، هى تحد بالحدود التى تتطلبها المواقف ، كما تقيد بحقوق غيره من الأطفال .

الطفل الحر (أو الراشد الحر) فى نظر منتسورى هو ذلك الفرد الذى نمت قدراته وأصبح لديه التمكن ليفضل أن يعالج بنفسه المشكلات التى تصادفه ، كما أنه يحسن تقبل التوجيهات والإرشادات ، ولا يتردد فى السؤال عما يعترضه من صعوبات أو مشكلات .

إن الطفل أو الراشد الذى يفتقد المهارة فى العمل ، ولا ينقاد للأوامر ويقابلها فى تحد سافر أو مستتر هو فرد غير حر ، وإن تصور أنه حر . ذلك لأنه عبد لنزواته ورغباته ، وهو عبد أيضا لأنه يعتمد باستمرار على غيره .

فالراشد المستعبد كان طفلا فقد الحرية فاعتمد على أبويه فى البيت ، وعلى مدرسته فى الفصل ، وعلى زملائه فى الملعب ... إلخ ، فالطفل الحر ينمو - بدون شك - ليكون رجلا حرا .

.....

.....

كان يوم أحد والربع الأخير من شهر أغسطس ١٩٨٣ يقترب ، وباريس تودع كثيرا من السائحين والسائحات . والمؤلفان فى غمرة انهماكهما فى التفكير والكتابة فى هذا الكتاب ، أغرتهما طيابة الجو . إلى نزهة فى حديقة قريبة يحتضنها بوليفار فوش وشارع صغير فيه مسكنهما المؤجر . وهما يفكران عن الطفل والطفولة وإذا بهما أمام حديقة صغيرة للأطفال . جلسا على إحدى الأرائك ، والأطفال يلعبون فى لهو ممتع بالرمل والأدوات فى منطقة أعدت خصيصا لهذا النشاط . الأمهات موجودات يراقبن أطفالهن ، بينما تجرى الأحاديث والحكايات . وهذه الطفلة الهادئة الساكنة فى حوالى الرابعة من عمرها ، جلست تبنى تلا من الرمال فى حركات ترفع فيها الرمل من مكان، وتثبته على التل فى دأب لاينقطع . كل قسمات وجهها ، كل نظرات عينيها ، كل خلجة فيها مهتمة فى نشوة بما تفعل ، وعندما انتهت من بناء التل تلفتت حواليها ،

وللغرابة كانت تنادى على طفل اسمه (هوسين) وتعنى حسين ... ثم أخذت (الجاروف الصغير) ووضعته حيث كان وأعادت ترتيب ما حولها ، ونفضت عن ملابسها آثار الرمال وتحسست فستانها الصغير ، وخطت بثبات ، حيث تركت مكان اللعب لتجلس بجوار أمها وكأنما كانت فى مهمة وأنجزتها . استراحت وهدأت وهى باسمة سعيدة .

.....

.....

بيوت أطفال منتسورى أماكن تكاد تكون دور عبادة ، كأنما هى تخضع لأوامر سماوية منزلة ، تحتم بكل الصرامة أن يكون كل شىء منظما وفى مكانه ، كأنما هى ساعة تعمل ، بل كأنما هو النظام يقول أنا هنا فتعالوا وشاهدوا . لايمكن تصور طفل يعيش وسط هذا النظام الدقيق ويتبعه فى اقتناع ، ويعاقب نفسه إذا أخل بهمسة طفيفة فيه ، ويسرع إلى إصلاح الخلل ، ولايمكن تصور أن مثل هذا الطفل لن ينشأ فردا مقدسا للنظام .

يتضمن تنفيذ قوانين النظام فى بيوت الأطفال - بالدرجة الأولى - طاعة للأوامر والتوجيهات والإرشادات . وهنا تظهر عبقرية طريقة منتسورى فى التكامل بين الركائز والأساسيات والوسائل لتحقيق الأهداف . النظام فى حرية ، والنظام مرتبط بالطاعة وبالاعتماد على النفس وبالاستقلالية ، النظام مستتب فى البيئة المهيأة للطفل ، مراقبة حفظ النظام من أهم مسئوليات المعلمة ، وهى من أهم واجبات الطفل .

ومن الغريب الطريف أن إحدى الفترات الحساسة فى طبيعة نمو الطفل ينبثق فيها وازع فطرى ، يدفع الطفل بقوة إلى الترتيب والتنظيم ، وهذه الفترة تمتد من بعد سن الثانية إلى القليل بعد سن الرابعة ، والقصد فى فترة زمنية خلال تلك السنتين أو تزيد قليلا كتلك الصغيرة صاحبة التل الرملى . إن انبلاج هذه الرغبة الدافقة عند الطفل للتنظيم قد تؤدى إلى حدوث انفعالات عنيفة عنده كالبكاء المستمر ، أو

الصياح ، أو الغضب ، أو الإحجام عن الطعام ، إذا وجد أمورا فى البيت لاتخضع لمقتضيات النظام الذى يريده ، ولا يراه أخوه الأكبر سنا أو الأم أو الأب ، ولكن عينى الطفل المشبعتين بهذا التدفق الداخلى تريان فى الخلط فى وضع الأكواب فى محلها ، فى عدم وجود غطاء الوعاء على الوعاء ، فى التمزق النظامى فى وضع الكراسى كما عهدها ، فى عدم استواء وضع السجادة ... إلخ ، يجد فى هذا تحديا صارخا للهاتف الداخلى الذى يدعوه إلى النظام والترتيب . إن هذه الدفعة الداخلية الخفية تغيب عن كثيرين ولا يعرفونها ، وبالتالى لايفهمون سر هذه الانفعالات التشنجية ، ويضربون كفا على كف وكأن بطفلهم مسا من الجان ، وهو براء .. فإن النداء الداخلى للنظام لم يجد مستجيبا .

هذا النداء دفع طفلا فى أحد بيوت أطفال منتسورى ، عندما دخل صباحا فوجد صورتين معلقتين ولكن اليمنى محل اليسرى عكس ما تعود ، وكانت المعلمة بالحجرة، وعجبت عندما رأت الطفل يضع اليمنى محل اليسرى وتنبهت إلى نفسها ، إذ كان هذا هو الوضع الذى عهدته ، وأرادت أن تجرب فأعادت اليمنى محل اليسرى ، على عكس ما عهده الأطفال ، وفى صباح اليوم التالى دخلت طفلة وأعادت بتلقائية الترتيب إلى المعهود ... واستمرأت المعلمة اللعبة فعكست الوضع ، وأعاد طفل ثالث فى اليوم التالى الأمر إلى مكانه . وتكررت العملية فى اليوم الرابع .

لم تدر المعلمة كمعظمنا- نحن الكبار - هذا السر الدفين فى هذه الفترة الحساسة الخاصة بالنظام عند الأطفال .

لسنا ندرى كيف يمكن لنا فى مجتمعاتنا أن نفهم بعض الأمور المهمة جدا ، والخافية جدا عنا ، والخاصة بالأطفال ونموهم ، وكيف نربيهم قبل أن يدخلوا المدرسة الابتدائية ؟ .

العظمة التى نتطلع إليها فى رجال المستقبل تكمن فى تربية أعماقهم قبل سن السادسة .

هذه الطريقة المنتسورية

يمكن تقرير المبدأ الرئيسى لطريقة منتسورى فى ... «الطفل فى حالة تحول مستمرة ومكثفة سواء فى جسمه أو فى عقله» . وترى منتسورى أن السنوات من ٣ إلى ٦ هى مرحلة بناء الفرد ، أى السنوات التى تنمو فيها الذاكرة والتفكير والإرادة. وينهمك الطفل فى هذه السنوات فى بناء نفسه : فيفضل العمل على اللعب ، والنظام على الفوضى ، والهدوء على الضوضاء ، والاعتماد على النفس لا الاعتماد على غيره ، والتعاون لا المنافسة .

ويؤسس النظام المنتسورى على احترام شخصية الطفل ، فيبعده عن تأثيرات الكبار حتى ينمو نموا طبيعيا . ولهذا توجد البيئة المعدة أو المهيأة التى توفر له التعلم فى جو مشبع بالهدوء والطمأنينة ، مع استمتاعه بقدر كبير من الحرية ، تعتبر ركيزة للنظام .

إن أى نظام تربوى مؤسس على طريقة منتسورى يعتبر الطفل مشاركا إيجابيا فى إطار بيئة أعدت خصيصا له ، وتتاح له الفرص فى تلك البيئة للتحرك واختيار الأعمال بتلقائية من شأنها أن تعمل على تنمية إمكاناته ، فيجرى ويستخدم حواسه الخمس يستكشف بها العالم حوله . ويمنح كل إنجاز جديد الطفل إحساسا بقيمته الذاتية ، مما يؤدى إلى احترام الذات وهو الخطوة الأولى فى تعلمه كيف يحترم الآخرين وحقوقهم . وقد صممت منتسورى هذه البيئة للطفل فى نظامها التربوى بطريقة علمية لتنمية شخصيته فى تكامل وشمول من حيث :

- التناسق الجسمى واكتساب المهارات الحركية .
- القدرة العقلية .
- الإرادة والعزم .

- المبادأة .

- الاختيار الحر .

- الدافعية الداخلية وضبط النفس .

وتتيح الطريقة للطفل الفرص والمثيرات ليكتسب خبرات حياتية ، وليزيد انطباعاته ، وليتعلم بالعمل ، ويعرف طريقه إلى النجاح فى مراحل متدرجة ، تتمشى مع أطوار نموه ... ويتم كل ذلك بتوجيه من معلمات مدربات تدريبا خاصا على العمل فى بيوت الأطفال المنتسورية ، وهكذا تبنى طريقة منتسورى على الفهم الواعى والعميق للطبيعة البيولوجية والنفسية للطفل ، بل إن الطريقة تعمل مع الطبيعة، خاصة فى الفترات الحساسة ، فتساعد الطفل على تقوية وتدعيم إحساسه بالنظام ورغبته فى الاستكشاف .

كما تعترف طريقة منتسورى باهتمام الطفل التلقائى بالتعلم ، وتحترم حق الطفل فى أن يتعلم بنفسه ، وحقه فى الاختيار ، وأن يتمتع بالاستقلالية وهو ينمو ، وتنظم المثيرات التى تحفز قدراته الابتكارية ، وتوجه كل طفل حسب حاجاته وإمكاناته ليحقق نموه الطبيعى بالسرعة التى تتمشى مع طبيعة هذا النمو الخاص بكل طفل .

ومع الاعتراف بأهمية أن يعتمد الطفل على نفسه ، وبالدور التوجيهى للمعلمة، وبضرورة تهيئة بيئة خاصة ... فإن هذه العناصر الثلاثة تعمل فى تعاون تؤكده منتسورى داخل نظامها التربوى .

ولتحقيق أهداف الطريقة ... صممت منتسورى مجموعة كبيرة من الأدوات والأجهزة التعليمية التى يستخدمها الأطفال ، وقد راعت فيها أمورا عدة ، منها - على سبيل المثال - التدرج فى العمل من البسيط إلى المركب ، وقد يجد الطفل أن ما تخيره من أداة تعليمية صعبة ولا يستطيع التعامل معها فيتركها إلى أبسط منها .

والقصد هنا أن الخطأ أو الفشل أمر مؤقت ، ولا يجب أن يؤثر على نفسية الطفل ، وبالذات على ثقته فى نفسه .

كما أن هذه الأدوات صممت بحيث ينتقل الطفل فى تعلمه من المحسوس إلى المجرد أو المعقول أو الرمز ، ويتحقق ذلك فى جميع الأنشطة والمجالات التى يعمل فيها الطفل .

. . . . . .

. . . . . .

تقول منتسورى [١] ... إن تكنيكات طريقتى التى تتبع النمو البيولوجى والنفسى للطفل يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء ، هى :

(أ) التربية الحركية .

(ب) تربية الحواس .

(جـ) اللغة .

وتعتبر إدارة البيئة التعليمية المهيأة للأطفال واشتراكهم الفعال فى العناية بها ، وبما فيها من أدوات وأجهزة ... هى الوسائل الأساسية للتربية الحركية ، أما تربية الحواس واللغة فتعتمد على أدواتى التعليمية» [١] .

وعن التربية الحركية فهى فى رأى منتسورى عملية معقدة جدا ، إذ أنها تتطلب التنسيق بين كل عضلات جسم الطفل . ولهذا فلا يجب أن يكون هناك إصرار على تقييد حركة الطفل ، بل يسمح له بالحرية فى التنقل وأداء الأعمال ، مع توجيه المعلمة ، وهذه الحرية هى أساس النظام والهدوء فى بيوت الأطفال .

---

(1) Maria Montessori, Montessori's Own Handbook, Robert Bentley Inc., Cambridge, Massachusetts, 1966, p. 17.

وتهتم تربية الحركة بتعليم الأطفال كيف يعتنون بأنفسهم ، ويعتمدون على أنفسهم أيضا . ويمكن أن نقسم تربية الحركة إلى قسمين رئيسيين :

- قسم يتم داخل جدران بيت الأطفال ، حيث - فى البداية - تجلس المعلمة بجوار الطفل ، وهو يرى كيف تعمل أصابعها فى فك وتركيب (زر فى عروة) مثلا أو ربط شريط بطريقة معينة ... ويلاحظ الطفل بعناية شديدة حركات أصابع المعلمة المتأنية جدا والدقيقة ، وتتكلم المعلمة قليلا ولكنها تعمل كثيرا ... فمثلا يتعلم الأطفال كيفية الجلوس إلى المائدة ، وتوزيع الأطباق وجمعها ، وترتيب المائدة ، وأماكن أدواتها ، ويكاد لايسمع لهم صوت وهذا شرط أساسى ، فتبدأ المعلمة الحركة ويتلوها طفل ثم آخر وثالث ، ومازال الهدوء مخيما .

وترسم المعلمة على أرضية الحجرة خطا بالطباشير ، وتمشى عليه واضعة قدما على الخط ثم قدما أخرى أمامه وهكذا ... يتبعها الأطفال ، ثم تعزف الموسيقى مقتحمة الصمت فى نغمة معينة ، ويمشى الأطفال وتتبع حركاتهم أنغام الموسيقى .

ويزود بيت الأطفال عادة بعدد من المشاجب للملابس أو المناشف أو غيرها ، وتستخدم هذه فى نظام محكم يتدرب الأطفال عليه . كما يتدرب كل طفل على حركات الربط والفك ، والفتح والغلق ، والحل والتركيب مستخدما بعض الأدوات التعليمية ، كما يشتركون فى تنظيم الحجرات .

- أما القسم الثانى.. فيتم فى حديقة بيت الأطفال، حيث يقومون بأعمال ترتبط برعاية الأرض والنبات . أو يشتركون فى بناء سور منخفض حول حوض من الزهور..

وقد يمارس الأطفال بعض التمرينات الرياضية التى تتخير لهم بعناية . وإذا لم تسمح الظروف الجوية .. فيمكن أداء بعض التمرينات داخل البيت .

أما عن تربية الحواس ... فتعتقد منتسوري أن محتويات العقل تتكون مما يأتيه من حواس الفرد ، لذلك اهتمت اهتماما واضحا بتربية الحواس ، وصممت عديدا من الأدوات التعليمية لهذا الغرض .

ولم تكن منتسوري صاحبة هذا الاعتقاد ، فقد سبقها فردريك هيربارت [1] ١٧٧٦ - ١٨٤١ الذي قال ... إن الحواس هي البوابات أو المداخل التي تدخل من خلالها المعلومات والمعارف التي يكتسبها الطفل ، وأنه لايوجد شيء في العقل مالم يكن من قبل في الحس .

وعود إلى ماريا منتسوري ونبدأ بتدريب العين ... تتدخل المعلمة - في أول الأمر - عندما يستخدم الطفل صندوقا خشبيا به فتحات مستديرة ، يعمل على تثبيت مجموعة من القطع الخشبية ، تختلف في قطر كل منها ، لا في تلك الفتحات. والمطلوب أن يرى الطفل القطع الخشبية أسطوانية الشكل ، ويمسكها من المقبض الخاص بكل منها ، ويضعها في الثقب أو الفراغ الذي يتناسب قطره مع قطر القطعة . ويكاد ينحصر عمل المعلمة على إعطاء الإرشادات ، أما وضع القطع في الثقوب .. فلا يقبل الطفل إلا أن يقوم هو بها . ويخطيء الطفل أحيانا ويكتشف خطأه عندما لا تثبت القطعة الأخيرة في الثقب المتبقي . إن عيني الطفل تلاحظان قطر القطعة وقطر الفراغ وتتعلمان اختيار المناسب ، وتبرق عينا الطفل بفرحة النجاح ، ثم يكرر هذه العملية من نفس القطع مرات ، ومرات قد تصل إلى أربعين مرة ، ثم ينتقل إلى صندوق آخر وفيه قطع أخرى ذات شكل مختلف ، وتستمر اللعبة .

هذا ... وهناك أدوات تعليمية متعددة لتدريب حاسة البصر عند الطفل لما تطلق عليه منتسوري الذاكرة البصرية ، خاصة في الألوان والتعرف على الأشكال والتمييز بينها .

---

(1) C. Ufer, Introduction to the Pedagogy of Herbart, Boston, Heath and Co., Pub., 1900, P 5.

وننتقل إلى تدريب **حاسة اللمس**، وتعتبرها مدام منتسوري من أهم الحواس . يغسل الطفل يديه بالماء الدافيء والصابون ثم يجففهما ، ويعلق المنشفة حيث كانت . وفي أول الأمر .. تتدخل المرشدة فتعرض على الطفل مسطحا ، ينقسم إلى قسمين : قسم ناعم وقسم خشن ، ثم تمسك يده الصغيرة وتدع أنامله تتلمس القسم الناعم ، وتأخذها بهدوء إلى القسم الخشن . هنا لمس الطفل سطحين وأحس الفرق في الملمس بينهما ، وتدرب على ذلك بمفرده ، ويزداد عدد الأسطح المختلفة في النعومة والخشونة حتى تصل إلى ستة .

ينتقل الطفل بعد ذلك من اللمس إلى التحسس .. فتعرض عليه مجموعة قطع من الأقمشة مختلفة في ألوانها الزاهية وفي درجات نعومتها وخشونتها ، فمثلا قطع من الصوف ، الحرير ، التيل ، المخمل ، الخيش ، ... إلخ ومن كل عينة قطعتان . ويحضر الطفل منديلا نظيفا يعصب به عينيه ، ثم تتحسس أطراف أصابعه القطع، ويضع كل قطعتين من ملمس واحد معا ، ثم يرفع المنديل عن عينيه ويطويه ويعيده إلى مكانه ويرى مدى نجاحه ، يساعده في التعرف على ذلك أن كل قطعتين ذات نعومة أو خشونة واحدة لهما لون واحد ، ثم عليه أن يرتبها متدرجة من النعومة إلى الخشونة ، ويكرر العملية التدريبية لحاسة اللمس عدة مرات . وينتقل الطفل إلى أدوات تعليمية أخرى لنفس الغرض ، لتدريب حاسة اللمس على التعرف على الأشكال المختلفة... مثلا يستطيع أن يفرق بين المستطيل والمربع والدائرة وهو مغمض العينين، معتمدا على تتبع الخط الخارجي للشكل بأصابعه ، ويستخدم الورق المصنفر مسطحات عليها رمل أو زلط ... إلخ لتحديد الأشكال المطلوب التعرف عليها .

ثم ننتقل إلى تدريبات خاصة **بحاسة السمع** ... إنها ست علب أسطوانية الشكل مصنوعة من الورق المقوى ولها غطاء ، وتحوى كل علبة مادة معينة مثل الرمل، والخرز ، زلط ، قطع من الزجاج ، قطع من الصفيح ، دقيق ... إلخ ، بحيث

إذا هز الطفل علبة صدر عنها صوت ... أمام الطفل إذن ستة أصوات مختلفة عليه أن يميز بين الصوت المنخفض والصوت العالى ، ثم يعطى ست علب أخرى مماثلة ، وعليه وهو معصوب العينين أن يصنف كل اثنتين متماثلتين معا ، وذلك تبعا للصوت الصادر من كل منهما .

أما الخطوة الثالثة .. ففيها يرتب الطفل هذه العلب ، بادئا بصاحبة الصوت المنخفض ، ومتدرجا إلى صاحبة أعلى صوت .

وكالمعتاد .. فإن المعلمة تبدأ بشرح الفكرة ، وتترك الطفل إلى الأداة التعليمية يتعامل معها ويتدرب ويكرر التدريب عدة مرات .

وهنا ما تطلق عليه منتسورى تعبير (الحاسة الموسيقية) ، حيث تستخدم مجموعة من الأجراس ذات شكل واحد ، ولكنها تعطى أصوات السلم الموسيقى إذا طرقها الطفل بمطرق خشبى ، وعليه أن يتعرف على الصوت الصادر من كل جرس ، ثم يرتبها تبعا لذلك السلم الموسيقى .

وتقول منتسورى [1] ... «فى الحقيقة إننى لا اكتفى بتلك الأجراس ، ولكننى استخدم بعض الآلات النحاسية والوترية وآلات النفخ البسيطة ، ويحاول الأطفال الربط بين الأنغام الصادرة عنها بالانغام التى صدرت عن الأجراس ... ويمكن أيضا استخدام البيانو لنفس الغرض ...» .

ومن التدريبات المهمة فى تدريب حاسة السمع عند الأطفال ، ما أطلقت عليه منتسورى (درس الصمت) ، وله أثر واضح فى تعويد الأطفال على النظام والهدوء فى عملهم .

---

(1) Ibid. p. 63-64.

وليتصور القارىء ثلاثين أو أربعين طفلا جلسوا مع المعلمة فى حجرة ، أقفلت نوافذها وسادها بعض الظلام . ويخيم السكون التام إلا أحيانا من أصوات تسللت من الخارج ، ولكنها لاتجرح الصمت . والأطفال جلوس على كراسيهم الصغيرة ، أو مفترشون أرضية الحجرة ولكنهم مستريحون .... فى هذا الصمت الرهيب غير المريب لاتصدر عن أى طفل أية خلجة أو شاردة ، فالعضلات فى حالة استرخاء ، الرأس ثابتة، قسمات الوجه هادئة ، التنفس بطىء غير مسموع ... كأنما انتقل الأفراد إلى عالم التأمل والسكينة ، كأنما صار جدار عالٍ بينهم وبين العالم الخارجى ، وكونوا لأنفسهم شرنقة ، تحتويهم فى جو الصمت والهدوء والسلام .

أنه أمر رائع من منتسورى وهى تدرب حاسة السمع ، والأجراس ، والعلب ، والأصوات ، والسلم الموسيقى أن تنقل الأطفال إلى عالم الصمت والسكون .

ويستمر درس الصمت وتنسحب المعلمة فى هدوء كامل إلى المؤخرة ، حيث لايراها الأطفال ، وتنادى على كل طفل فى همس خفيف يحمله الهواء إلى الآذان فيشير الطفل بيده دليلا عن أنه سمع همسة اسمه ...

عندما يتعرض الأطفال لعالم الصمت فى دروس الصمت .. تصبح آذانهم مرهفة يضايقها الصوت المرتفع ، كما انها تقدر على التقاط أضعف الأصوات . وبعد هذا يسود جو هدوء فى العمل ، فى الحركة ، فى الحديث ... فى كل شىء ، وهذا ما يميز بيت الأطفال .

حركة دائبة مستمرة ، ونشاط لاينقطع ، ونظام لايتطرق إليه الخلل .... وهدوء يحس به الزائر إلا فى فترات يتطلب عمل الأطفال فيها صدور أصوات .

وترى منتسورى فى ختام عرضها لتربية الحواس أن خطوات الطريقة التى تتبع، هى :

١- تدريب الحاسة للتعرف على (الأشياء) المتماثلة تماما .

٢- (*) تدريب الحاسة للتعرف على (الأشياء) المتضادة ، أو التى بينها تفاوت كبير .

٣- تدريب الحاسة للتمييز بين (الأشياء) المتشابهة ، أى التى بينها اختلافات طفيفة .

ويفيد عند تدريب حاسة معينة أن يكون التركيب الأساسى عليها ، مع محاولة قفل بقية الحواس بقدر المستطاع ، حتى لايتشتت انتباه الطفل ، كأن يعصب الطفل عينيه عندما يتحسس قطع القماش .

وترى منتسورى أن على المرشدة أو من يريد استخدام الأدوات التعليمية المخصصة لتدريب حواس الطفل ، أن يستخدمها بنفسه أولا ويتدرب عليها ... إنه عندئذ يشعر بما سيمر به الطفل من أحاسيس ، وبذلك يمكنه استخدامها مع الأطفال بنجاح .

أما عن تنمية اللغة

ألحت بعض الأمهات الأميات على الدكتورة ماريا منتسورى أن تعلم صغارهم فى بيوت الأطفال القراءة والكتابة . إلا أن هذا لم يكن فى خاطر ولا خطط منتسورى أو طريقتها ، بمعنى إنه لا إلزام على طفل أن يتعلم القراءة والكتابة والأعداد ، ولكنه يمكنه تعلم هذا إذا أراد ، وبطريقة بعيدة عن الشكلية التى نجدها الآن فى كثير من رياض الأطفال . وتسمح منتسورى بأن يتناول الأطفال بعض الألعاب التعليمية ويلعبوا بها ويكرروا مرور أصابعهم على حروف ذات ملمس خاص ، وتذكر المعلمة اسم

(*) وفى رأى أن تسبق الخطوة رقم (٢) الخطوة رقم (١) .

هذا الحرف ، كما يلعبون ويكررون اللعب - إذا أحبوا - بأشكال للأرقام ، ويتعرفون على اسم هذا الشكل الرقمى [١] .

إن جوهر فكرة منتسورى فى تعليم الطفل مهارات الاستماع ، والتحدث ، والكتابة ، والقراءة يمكن أن تتبلور فى العبارة التالية «الشروع مبكرا فى التهيئة لبداية طيبة» ، بمعنى أن تهيأ للطفل الظروف المواتية فى وقت مبكر ، يتمشى مع إمكاناته وقدراته حتى يعد من جميع النواحى إلى تقبل أنواع التعليم التى تقدم له فى النصف الأول من المدرسة الابتدائية . نرجو ألا يفهم القارىء أن هناك فكرة نحو التعجل والإسراع فى عملية التهيئة هذه فتبدأ مبكرة . إن منتسورى لم تقصد هذا مطلقا ، والدليل على ذلك أنها رفضت أن يكون تعليم الكتابة والقراءة والعد من إلزاميات طريقتها ، قائلة بأن هذا التعلم سيأتى عندما يحين الوقت طبيعيا وتلقائيا بالنسبة للطفل . أى أن بيوت الأطفال لم تشتمل على دروس منظمة ، تقف فيها المدرسة ، وتعلم الأطفال مبادىء القراءة والكتابة والعد .

فإن منتسورى كانت تمجد عمليتى الملاحظة والتجريب ، ولم تصمم أداة تعليمية إلا بعد ملاحظة وتجريب لها ، وإجراء تعديلات فيها حتى تتحقق الفائدة التربوية المرجوة منها ، وهذا مافعلته فى قضية **تعلم الكتابة** ، والكتابة تسبق القراءة فى نظامها .

---

(١) استخدم سعد مرسى أحمد ما أسماه لوحة الأشكال فى أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات ، فى الأقسام الإضافية بدور المعلمات تخصص رياض الأطفال . وهى عبارة عن مسطح خشبى مستطيل ٤ × ٢ قدم به أربعة صفوف ... فى الصف الأول نعلق مجموعات من البلى فى خطوط تبدأ بهلية إلى تسع بليات . وفى الصف الثانى تعلق بطاقات صغيرة كأوراق الكتشينة (أوراق اللعب) مرسوم عليها دائرة أو دائرتان ... إلخ . فى الصف الثالث أشكال الأرقام معلقة فى خيوط من ١ إلى ٩ . وفى الصف الرابع بطاقات مكتوب عليها واحد - اثنين - ثلاثة ، ويربط الطفل بين الشىء المجسم والصوت والرقم والكلمة المكتوبة . وللوحة استعمالات أخرى كثيرة .

لاحظت الأطفال وهم يكتبون ، ولا نعلم فى أى سن كان هؤلاء الأطفال ، ولكنهم كثيرون وكانوا يكتبون ، ودققت النظر إلى حركات أصابعهم وأيديهم ، ثم حللت المهارات العديدة المتضمنة فى عملية الكتابة ، ومنها كيف تمسك أصابع الطفل بأداة الكتابة ، وتحريكها فى انسيابية متدفقة ، ثم فى حركات دقيقة لرسم شكل الحروف . وفى ضوء هذا التحليل ... صممت بدقة وعناية مجموعة تدريبات وأدوات تعليمية من شأنها - بعد أن يتدرب الطفل بها - أن تمكنه من إجادة الحركات العضلية المطلوبة والتوافق بينها وبين الرؤية والتفكير ، مما يجعله مستعدا لعملية الكتابة الفعلية . تتم هذه التدريبات فى تتابع مدروس ومقصود ، بحيث تؤدى نتائج كل تدريب منها إلى اكتساب القدرة على إجراء التدريب التالى .. وهكذا . وقد أخضعت منتسورى هذه التدريبات وتتابعها إلى التجريب العلمى مرات ومرات ، حتى توصلت إلى ما اعتقدت أنه برنامج ناجح فى الإعداد للكتابة .

يهيىء برنامج الإعداد للكتابة الطفل ليس فقط للكتابة ، وإنما أيضا - وفى ذات الوقت - للقراءة ، وهذا يؤكد قدرة ماريا منتسورى فى استغلال البيئة التعليمية لأكثر من هدف تربوى ، من خلال توظيف أكثر من حاسة من حواس الطفل فى التعلم .

وتنقسم التدريبات إلى مجموعتين مختلفتين ، تهدف **المجموعة الأولى** إلى تمكن الطفل من استخدام الأداة التى يكتب بها ، فيجد أمامه لوحا خشبيا فى وضع مريح بالنسبة له ، ثم مجموعة من القطع المعدنية لأشكال هندسية مجوفة ، ثم عشرة أقلام ملونة ، وعلى الطفل أن يضع شكلا هندسيا ويثبته بيده اليسرى ويتخير قلما ملونا ، ويمر به حول الحدود الداخلية لهذا الشكل الهندسى . ويتخير قلما آخر له لون مختلف ويدور به حول الحدود الخارجية لنفس الشكل ، ثم يرفعه فتظهر له نتيجة ما خطه وهى حدود الشكل الهندسى بلونين مختلفين ، ويكرر العملية مع شكل هندسى

آخر وآخر وبألوان مختلفة . هذا يعنى أنه ربما فى المرة الأولى رسم الحدود الخارجية لشكل هندسى مربع ، وفى الثانية لمستطيل ، وفى الثالثة لدائرة ... إلخ . ثم يأتى بعد ذلك تمرين آخر ، حيث يملأ الطفل الفراغ بخطوط غير منتظمة ولا علاقة لها بالحدود المرسومة . وتدريجيا .. تنتظم الخطوط المستخدمة فى ملء الفراغ ، ويحافظ على الحدود الخارجية للشكل ، وتكرر العملية فى أشكال متعددة ... ويجد الأطفال لذة كبيرة فى رسم تلك الأشكال ، وملء الفراغات بألوان مختلفة . وتختلف مساحات الأشكال وأنواعها حتى يتدرب الطفل على عمل الحدود ، وملء الفراغات بالألوان التى يختارها ، ويسعد الطفل بما انتجه ويحتفظ بهذا (الكنز) فى (الدرج) الخاص به .

وهكذا ... تتدرب أصابع الطفل على أدوات الكتابة فى أحجامها ، وفى المواد التى تصنع منها بحيث تصبح أصابعه سيدة الموقف .

وتهدف **المجموعة الثانية** من التدريبات إلى تمكن الطفل من رسم أشكال الحروف الهجائية ، فتوجد فى الأدوات التعليمية مجموعة من الصناديق التى تحتوى على أشكال الحروف الهجائية (*) ، ففى صندوق منها توجد مجموعة بطاقات ، كل بطاقة ملصق عليها حرف صنع من ورق مصنفر . وفى صندوق آخر توجد مجموعة بطاقات ، أكبر مساحة من السابقة ، وقد لصق على كل منها عدة حروف بينها تشابه فى الشكل مثل (ب - ت - ث) ، (ج ح خ) (د ذ) ، (ر ز) ، (س ش) ، (ط ظ) (ع غ) ... إلخ .

ويخرج الطفل بطاقة والمرشدة معه ، وتمرر أصبعين على شكل الحرف ، ويقلدها الطفل فيمر بإصبعيه السبابة والوسطى على الحرف المصنف فى نفس الاتجاه كأنما هو يكتب فعلا ذلك الحرف ...

(*) حاول المؤلفان تكييف ما عنته منتسورى وتغييره من الحروف اللاتينية إلى حروف الهجاء العربية لراحة القارىء العربى .

.... التدريب ... التكرار .... التكرار ...

يالهذه الفرحة الغامرة التى تستشعرها تلك الأنامل الصغيرة التى تعكسها تلك النظرات السعيدة ... سبق لتلك الأنامل أن مرت بخبرة متشابهة شاهدتها عيناه ، وأحس بها وجدانه وهو يميز بين ملامس النعومة والخشونة ... تلك الخبرة السابقة هى التى أهلته لمعرفة شكل الحرف ... والآن تؤكد له ذلك الشكل .

.....

.....

لنتمهل قليلا حتى نتفهم طريقة منتسورى فى تعليم الكتابة والقراءة ... عندما يتحسس الطفل حرفا من الحروف .. تنطق المعلمة بجواره صوت الحرف ، وتلمس أنامله شكل الحرف وهو ينطقه ، ويصير الربط بين العين وأطراف الأصابع والأذن ، فأى حاسة منها تستدعى بالضرورة الحاستين الأخريين ، أى أنه لو أغمض عينيه وتحسست أنامله أشكال الحروف لعرفها ونطق صوتها ، أو بمعنى آخر لو سمع الطفل صوت حرف لرأت عينا عقله صورة هذا الحرف وأحست أنامله شكله .

وعندما يصل الطفل إلى هذه الدرجة من التمكن التى يستطيع فيها إذا رأى شكل الحرف أن يستدعى عقله صوت هذا الحرف ... فهو إذن قد بدأ يقرأ .

أيها الطفل ... لقد صرت الآن مستعدا ومجهزا بكل الحركات اللازمة لعملية الكتابة، ولذلك فأنت ياطفلى الآن قادر على أن (تكتب) ... إنك لاتدرى انك أحرزت انتصارات هى فى سنك رائعة ، هى نتيجة مشوار طويل فى تكوينك الداخلى . أنت ياطفلى لاتدرى ما هى وكيف صارت ، وكيف كونتك إلى ماصرت إليه ... يا طفلى ... اليوم الذى (ستكتب) فيه آت عن قريب ، بل هو وشيك الحدوث ... سوف يكون حدثا مدهشا لك ، إنه حصاد نشاط أنت بدأته وأحببته .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

أما عن العد والحساب .. ففى رأى منتسورى أن الطفل يكون مفاهيم متعددة ترتبط بها من خلال تدريبات تنمية الحواس التى سبق أن مارسها مرات كثيرة. وعندما يتكون مفهوم متصل بالعد والحساب .. فإنه يتأصل لدى الطفل ، ولذلك ففى المستقبل عندما يتعامل مع الأرقام والعمليات الحسابية المجردة لا يجد صعوبة تذكر . فالطفل عندما يلعب بمجموعة عيدان خشبية متفاوتة الطول - وهذه واحدة من المواد التعليمية التى سبق استخدامها فى تدريب حاسة البصر - ويرتبها من الأقصر إلى الأطول يكون قد كون فعلا مفهوما حسابيا وعدديا . وعندما يضع الأجسام الأسطوانية الشكل فى ثقوب موجودة بصندوق خشبى - وهذه أداة أخرى مارس التدريب عليها - فإنه يكون مفهوما عن الأشكال والأحجام التى سيدرسها فيما بعد ، بل إذا أخطأ فى وضع هذه الاجسام فى أماكنها الصحيحة ، وتبقى منها واحد لم يستطع تثبيته فى المكان المتبقى هنا سينطق كلمة (ناقص واحد) ...

يتكون مدرك أو مفهوم الرقم والعد عند الطفل بصورة بطيئة ، ولكنها متدرجة ومستمرة ، ولم تفرض على الطفل بل اشتقها هو بنفسه فى ثنايا تدريب بعض حواسه، وهو يتعامل مع الأدوات التعليمية . وبهذا .. يتكون لدى الطفل المعنى ، ولا يلقى إليه من المعلمة أو المدرسة .

ويتدرج الطفل فى تمريناته بالأدوات التعليمية إلى مستوى أعلى فى المفاهيم الحسابية ، وهو ما زال يدرب حواسه ، ففى تدريب المكعبات ... على الطفل أن يكون مكعبا كبيرا من أربعة مكعبات صغيرة ، وآخر أكبر من ثمانية مكعبات صغيرة ..

وآخر أكبر وأكبر مستخدما سبعة وعشرين مكعبا صغيرا ... وهكذا . وهنا تتكون عنده فكرة الأحجام والنسب .

وعندما يبدأ الطفل تعلم العد .. فإن المعلمة تستخدم العيدان الخشبية المتدرجة فى الطول وأقصرها طوله ١٠ سم ولونه أحمر ، والثانى طوله ٢٠ سم ويتكون من جزءين أحمر وأزرق طول كل منهما ١٠ سم ، أما الثالث فيتكون من ثلاثة أجزاء : أحمر ، أزرق ، أحمر ، والرابع من أربعة أجزاء : أحمر : أزرق ، أحمر ، أزرق . وتشير المرشدة إلى هذه العيدان فى تتابع ، ويلمس الطفل كلا منها مرددا واحد ، اثنين، ثلاثة ، أربعة ... إلخ . ثم تعرض عليه المعلمة أحد هذه العيدان بمفرده وتسأله : أى العيدان هذا ؟ ويتعرف الطفل على رقم العود من عدد الأجزاء المكونة له. فيجيب ثلاثة مثلا ... وتطلب منه المعلمة العود رقم أربعة فيتعرف عليه من عدد الأجزاء المكونة له ... ويتكرر التمرين ، وتتأكد لدى الطفل فكرة أن عملية الإضافة تتم : بالزيادة - وأجزاء من نفس النوع - وأن مجموع الأجزاء يكون وحدة هى الرقم ، أى أن رقم ٩ يمثل ذلك العود المكون من تسعة أجزاء متساوية . وإذا طلبت المرشدة من الطفل أن يجمع ٧ و ٢ .. فإنه يضع العود المكون من سبعة أجزاء ، وبجواره العود المكون من جزءين .

وتتضمن هذه العمليات عن العد والجمع أيضا تكوين فكرة عن عملية الطرح ، فإن العود المكون من ستة أجزاء (أى ٦) هو مساو لمجموع العودين ٤ و ٢ ، وإذا رفع الطفل العود الأخير .. فإن المجموع لن يكون ٦ ، ولكن ينقص إلى ٤ المماثلة فى العود الرابع .

وإلى هنا .. كان التعامل مع الأعداد والأرقام لفظيا فقط ، بعدها يبدأ الطفل فى تعلم شكل هذه الأرقام . وتستخدم منتسورى فى ذلك نفس فكرة تعلم الحروف الهجائية السابق شرحها ، فتعرض المرشدة على الطفل بطاقات ، ملصق على كل منها

رقم قص من ورق مصنفر ، يمر الطفل بأصابعه على الرقم فى نفس اتجاه كتابته ، وفى نفس الوقت ينطقه ، ثم يحاول التعرف على شكل الرقم الدال على كل عود من العيدان الملونة السابقة ، وتضع المعلمة أرقاما على المنضدة ، وعلى الطفل أن يضع بجانب كل رقم عددا من المكعبات المساوية لهذا الرقم ... وهكذا . وينتقل بعد ذلك إلى التدريب على كتابة الأرقام كما تعلم كتابة الحروف .

* * *

وقد اعتقد كثير من نقاد طريقة منتسورى أنها كانت ضد الخيال Fantasy عند الأطفال ، وأنها استبعدت طريقة تمثيل الأدوار أو اللعب الإيهامى نهائيا ، ولم تسمح للأطفال بالاستماع إلى القصص الخيالية .

والواقع إن كتابات منتسورى حول هذا الموضوع محيرة ، فهى لم توضح ما تقصده بالخيار ، وما الفرق بين الخيار والتصور imagination ، فهى تشجع - وإلى درجة كبيرة - تنمية قدرة الطفل على التصور ، وكانت تقول إن هذا التصور يبنى على الواقع المحيط بالطفل ، وقدرة الطفل على التصور تساعده على استخدام عقله بطريقة ابتكارية ، هذا إذا كان مؤسسا على واقع ، لا على تخيلات طفولية بعيدة عن الواقع وعن الحقيقة .

وكانت منتسورى تعتقد أن الطفل الذى يشعر بالوحدة أو الغربة عن البيئة المحيطة هو الطفل الذى يلجأ لعالم خيالى يبتدعه لنفسه ويشعر فيه بالراحة . وإذا بالغ الطفل فى هذا السلوك ... فهى علامة غير صحية ، قد تتطور حتى لايستطيع الطفل التفرقة بين الواقع والخيال . ولم تلجأ معلمات منتسورى إلى قصص الجنيات لأن الأطفال - فى رأى منتسورى - لايحتاجونها ، فهم وهم ينمون فى عالم الكبار ، يواجهون عالما غريبا بالنسبة لهم ، وهذا يكفى لخبرتهم المحدودة .

وعن تعلم **الفنون التشكيلية والموسيقى** .. فلم تعط منتسوري تعليمات محددة في هذا الشأن ، ولكنها اعتمدت على تلقائية الأطفال وحريتهم ... واعتبرت التدريبات التي يمارسها الأطفال لتنمية عضلات اليد والأصابع كافية لتشجيعهم على الرسم ، خاصة إنها اعتمدت على هذه الحركات اليدوية لتهيئة الطفل للكتابة ... فاستخدمت الألوان المختلفة والأشكال المنوعة . كما اهتمت منتسوري بتدريب عين الطفل على الجمال والنظافة والنظام ، فقد تميزت بيوت الأطفال بالجمال والألوان المتناسقة ، مما يعود الطفل على حب وتذوق الفن والجمال . ولم تهتم مطلقا بالرسم الحر للأطفال ، وكانت تقول ... «إني أحاول تجنب هذه المجهودات عديمة الفائدة وغير الناضجة، ... ولم أحاول أن أعلم الأطفال الرسم ولا عمل المجسمات ... ولكن كانت لهم حرية رسم الزهور والطيور والمناظر الطبيعية ، وحتى بعض تصوراتهم الشخصية . وقد نلاحظ أن أفضل طريقة لتعليم الطفل الرسم ، هي إعداد البيئة المناسبة التي تساعده على النمو الطبيعي ، وتدريب اليدين والعينين وليس بتعليمه الرسم ... حيث إن البيئة المهيأة كفيلة بإتاحة الفرصة للمواهب الحقيقية أن تظهر وتعبر عن نفسها» [1] .

واعتمد تعليم الموسيقى في طريقة منتسوري على التدريب السمعي ، وعلى التمييز بين النغمات والأصوات وترديدها . واهتمت منتسوري بدقة الأداء والتعبير ، وأن يتعود الطفل سماع الموسيقى ، فكانت الألحان تصاحب تدريباته الحركية والحسية، ويتدرب الطفل على اللعب بالآلات الموسيقية البسيطة ، سواء الوترية أو النحاسية أو آلات النفخ ويقدم له تدريجيا السلم الموسيقي .

* * *

(1) Elizabeth G. Hain stock, The Essential Montessori, New American Library, New York, pp. 105-106.

آمنت ماريا منتسوري بأن الطفل الذي يصفه الكبار (بالشقاوة) هو طفل يريد الحركة والنشاط ، يريد لتلك الحوافز الداخلية عنده ، وللفترات الحساسة التي يدفعها النمو البيولوجي والنفسي ... يريد لكل هذا متنفسا ، أي إن هناك احتياجات مهمة جدا ، تصيح مطالبة أن تشبع . ترى منتسوري في طريقتها وما فيها من أدوات تعليمية ، ونشاط حركي وحسي وجسمي في إطار من جو اجتماعي تحت إشراف من مرشدات على وعي كبير بأدوارهن ، ترى أن بيت الأطفال يتيح الجو المناسب جدا للنمو الطبيعي للطفل ، فتنقشع سحب (الشقاوة) ، وتسطع شمس النظام والطاعة في إطار الحرية المكفولة بالعملية والتقنين المناسبين .

* * *

لم تجد منتسوري آذانا صاغية في إيطاليا ، وربما عز على الرجال أن تظهر امرأة لتقول ... جابت أطرافا من العالم في آسيا وأوروبا وأمريكا تبشر بطريقتها ، وسافرت إلى بعض الأقطار ودعيت إلى كثير من الأقطار .ارتفعت آراؤها في الهند وغيرها ، وفتحت الولايات المتحدة الأمريكية صدرها لآرائها ولها ، وأمضت سنوات هناك أعجب بها البعض وهاجمها البعض الآخر . وربما كانت تعتز بنفسها إلى الدرجة التي وصفها حسادها أو معارضوها بالغرور وشدة الصلابة والإصرار في التمسك بالرأي ، فلم تحب هذه الدنيا الجديدة وغادرتها مقسمة أن لا رجعة إليها فقد عارضها - بقسوة لاذعة - مفكرو التربية التقدمية ، وناوأها في ضراوة وليم كلباتريك . ولم ترجع منتسوري بجسمها إلى أمريكا ... ولكن ... عندما فاض كيل الأمريكيين بما أسموه تلك (التربية التقدمية) عادت أمريكا إلى منتسوري ، وعادت أفكارها بكل الفخر والإجلال إلى آلاف مؤسسات التربية الأمريكية فيما قبل المدرسة ، وحتى في المراحل التعليمية التالية . وظهرت كتب عديدة لعل من أطرفها كتاب عنوانه «زيارة أخرى لمنتسوري» Montessorie Re-visited ، أي أن الأمريكيين هم الذين زاروها لتقول

لهم عن طريق كتاباتها ماذا يفعلون لأطفالهم قبل أن يدخلوا إلى المدارس الابتدائية ، فى مؤسسات تعد خصيصا لهم .

وأثقلت السنون بأحمالها على تلك الفتاة الايطالية الجميلة ، فأضافت كميات كبيرة من الشحم على اللحم ، وبدت فى آخر صورها بدينة جدا ، بدرجة لم تكن تسمح لها أن تصعد درجات من السلم الخشبى لترى حفيدتها فى الطابق العلوى ... كان جسمها البدين ينحشر على الدرج ولا تستطيع الحراك .

كان ذلك فى بيت ابنها ماريو بهولندا .

* * *

الدكتورة الطبيبة ماريا منتسورى ... مدام منتسورى ... ماريا ... عادت إلى إيطاليا التى استقبلتها بكل الحب والتقدير بعد أن اعترف العالم بها وبطريقتها ، فقد رشحتها الحكومة الإيطالية ممثلة لإيطاليا فى مؤتمر اليونسكو الدولى فى مدينة فلورنس ، فى شمال ايطاليا سنة ١٩٥٠ ، وقد رشحت ثلاث مرات لجائزة نوبل للسلام . ولم تهدأ هذه المتحمسة المجددة ، فما زالت نشطة وهى تقترب من عيد ميلادها الثانى والثمانين . حضرت المؤتمر الدولى التاسع لجمعية منتسورى فى لندن ١٩٥١ ونظمت واشتركت فى دورة تدريبية لمعلمات بيوت الأطفال ، عقدت بالنمسا فى نفس العام ، كما ألقت سلسلة من المحاضرات فى روما فى أوائل عام ١٩٥٢ ، وكان هذا آخر نشاط لها ، قبل أن تلبى نداء ربها فى هولندا يوم ٦ مايو ١٩٥٢ .

تلك كانت ماريا منتسورى وطريقتها ، وبيوتها لتربية الأطفال قبل المدرسة .